الوحدة الإسلامية في ظلال القرآن



يفرض الحديث عن الوحدة الإسلامية نفسه هذه الأيام إزاء ما يشهده عالمنا ومنطقتنا من تطورات؛ فضعف والعنا، وتردّي أحوالنا يستوجب البحث عن أسباب القوة وعوامل النهوض، وفي مقدمتها تحقيق وحدتنا، ورصّ ُ صفوفنا، وضمّ جهودنا. ولا شكّ أنّ القرآن الكريم هو أوّل من طرح وأكّد فكرة "وحدة الأُ مّة الإسلامية" عبّر نصوص قرآنية عديدة.

إن السمة الأبرز لهذه الأُمَّة الإسلامية هي أنَّها أمُّة التوحيد والوحدة، ومن الواضح عبر مسيرة التاريخ أنَّ هذه الأُمَّة لا تصل إلى الوحدة الحقيقية إلا من خلال تمسَّكها بعقيدة التوحيد الحق، وبقدر تفريطها في عقيدتها فأنَّها تتعرض إلى التمزق والتشتت الداخلي، ويربط القرآن الكريم بين التوحيد والوحدة في نصوص واضحة؛ منها قوله تعالى: (إِنَّ هَذَه ِ أُمَّ تَكُكُم ْ أُمَّ مَّ وَ اح ِد َةً وَ اح َد َةً وَ اح َد َةً وَ اَد َد َةً وَ اَد َد َا رَبُّكُم ْ فَا عَبُدُ وَن ِ) (الأنبياء/ 92)، (و َ إِنَّ هَذَه ِ أُمَّ تَكُكُم ْ أُمُّ مَّ قُون ِ) (المؤمنون/ 52).

قال الآلوسي: (إنّ هذه أمّتكم) خطاب للناس قاطبة، والإشارة إلى ملة التوحيد والأُمّة الإسلامية، وذلك من باب (هذا فراق بيني وبينك) وهذا أخوك تصور المشار إليه في الذهن وأشير إليه، وفيه أنّه متميز أكمل التمييز ولهذا لم يبين بالوصف.

ويسعى القرآن الكريم إلى تذكير المسلمين بحقيقة أنّهم أُمّة واحدة.

(وَاعَّتَصِمُوا بِحَبَّلِ اللَّهَ جَمَيِعًا وَلَا تَفَرَّ َقُوا وَاذَّكُرُوا نِعَّمَةَ اللَّهَ ِ عَلَيَّهُ إِ عَلَيَكُمُ ۚ إِذَّ كُنُتْهُم ۚ أَعَدْاءً فَأَلَّ آفَ بَينْنَ قُلُلُوبِكُم ْ فَأَصَّبَحَّتُم ْ بِنِعَمْ تَهِ عَ إِخْوَانَّا وَكُنْتُم ْ عَلَى شَفَا حَيْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنَنْقَذَكُم ْ مِنْهَا كَذَلِكَ َ يُبَيِّنُ اللَّهَ لُكُم ْ آيَاتِه ِ لَعَلَّكُم ْ تَه ْتَدُونَ) (آل عمران/ 103). وينهى أشد النهي عن التفرق والاختلاف: (وَلا تَكَنُونُوا كَالَّ دَيِنَ تَفَرَّ َقُوا وَاخْتَلَاَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الـْبَيِّنَاتُ وَأُولَئَكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (آل عمران/ 105). قال ابن عباس: هي إشارة إلى كل من افترق من الأُمم في الدِّين، فأهلكهم الإفتراق.

وقال تعالى ناعيا ً أهل الأهواء تفرقهم بكفرهم، محذرا ً من سلوك سبيلهم: (إِنَّ َ الَّ َذِينَ فَرَّ َقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيءًا لَسْتَ مِنْهُمْ فَيِ شَيْءٍ إِنَّ َمَا أَمْرُهُمُ اإِلَى اللَّ َه ِ ثُمَّ َ يُنَبِّ ِ تَّذُهُمُ مْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (الأنعام/ 159).

وقال تعالى: (وَلَا تَكَنُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ السَّدَيِنَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ْ وَكَانُوا شِيتَعًا كُلُّ ُ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحنُونَ) (الروم/ 32-31).

فالتفريق بين المؤمنين سبيل الشيطان: (إِنْ َمَا يَرْدِيدُ الشَّيَهُ الْ يُرْدِيدُ الشَّيَهُ الْ عَدَاوَةَ وَالدَّبَغُ هَاءَ فَي الدُّخَمُ رَ وَالدُم َيهْ سِرَ وَيَصَدُدَّ كُمُ عَنْ ذَكُمْ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَةَ فَهَلُ أَانَ يَتُمُ مُنْ تَهَوُونَ) (المائدة/ 91)، وهو سبيل أعداء الأُمة الللَّه وَعَنِ الصَّلَة فِ الطَاحِ، فمن الداخل يجتهد المنافقون في إثارة العداء والفرقة بين المتربصين بها من الداخل والخارج، فمن الداخل يجتهد المنافقون في إثارة العداء والفرقة بين المؤمنين حتى لو كان ذلك من خلال لافتات برّاقة خدّاعة تشق ُ الصفوف، وتفسد الاجتماع. (وَالَّذِينَ التَّوَمُ ذَي اللَّهَ وَرَارًا وَكُوْرًا وَتَفُر لِيقًا بَيْنَ الدَّمُ وُمْ مِنْ وَإِرْصَادًا لا اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ عَنْ اللَّهُ وَلَ اللَّهُ وَلَ المَاللُو اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّ اللَّهُ الللَّهُ الللللَّهُ اللللَّهُ اللللَّهُ ا

- الوحدة الإسلامية والأخوة:

ونصرة المستضعفين من المؤمنين فريضة ما أمكن ذلك: (و َمَا لـَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهَ ِوَالاْمُسُتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّّجَالِ وَالنَّسَاء ِوالاُورِلاْدَانِ السَّذِينَ يَقُولُونَ رَبِّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِه ِ الاْقَرْيَة ِ الظَّالِمِ أَهْلاُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) (النساء/ 75).

وذلك استشعارا ً بمبدأ الأخوَّة الإسلامية التي تسعى إلى إعزاز المسلمين جميعا ً، ورفع الضيم عنهم:

(وَلَـِلَّهَ ِ الْعَـِزِّهَ ُ وَلَـِرَسُولَـه ِ وَلَـلَاْمُؤُهْمَـنَـينَ وَلَـكَـِنِّ َ الْهُمُنَافَـقَـينَ لا يَعْلَـمُونَ) (المنافقون/ 8). جاء في تفسير زاد المسير: (وَلَـلَّهَ ِ الْعَـزِّةُ) وهي: النعمة والقوة: (وَلَـرَسُولَـه ِ وَلَـلاْمُؤُهْمَـنَـينَ) بإعزام ا□ ونصره، (وَلَـكَـنِّ َ الْمُنْاَفِـقَـينَ لا يَعْلَـمُونَ) ذلك.

ووضع الإسلام قواعد أخلاقية إيمانية لدعم الأخوّة الإيمانية، وحميتها من كلّ ما يعكّر صفوها، ويُعرقل سبيل عملها، فأمر بالتعاون على البر والتقوى، وترك الإثم والعدوان، وقال (ص): "مثل المؤمنين في توادّهم وتراحهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". وأمر الإسلام بالإصلاح بين المؤمنين حين يقع بينهم العداوة: (إِنَّمَا الْمُوُهَمِنُونَ إِنَّمَا الْمُومَنِين حين يقع بينهم العداوة: (إِنَّمَا الْمُومَنِين حين يقع بينهم العداوة: (أِنَّمَا الْمُومَونَ مُونَ) إِخْوَةٌ فَأَصَالِهُ مَا تَعْرُهُ وَاتَّ قُوا اللَّّهَ لَعَلَا كَدُمْ تَرُهُ حَمَّونَ) (الحجرات/ 10).

ومن أجل الأخوّة الإسلامية نهى الإسلام عن كلّ ما يسيء إليها، فإن ظهر بين المسلمين ظالم وباغٍ ومن أجل الأحرّة كلّها مطالبة بردّه والتصدي له من خلال تشريع الإسلام الخالد، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (وَلَّ تَكُنُ مِنْ كُمُ أُنُمَّ أُنُمَّ تَكُ يُ دُعُونَ إِلَى النُّخَيْرِ وَيَاً مُرُونَ بِالنَّمَ عَرْرُوفِ وَيَالُمُ مَعْ رُوفِ وَيَامُ الأُمَّة وَنَ عَنِ النَّمَ النَّمَة النَّمَة النَّمَ النَّمَة النَّمَة وَنَ عَرَانً 104)، وقيام الأُمَّة المسلمة بتلك الفريضة هو سرّ خيريتها وأفضليتها: (كُنْ تَكُمْ خَيْرَ أَكُمَّ مَا أَخْرِجَتَ لَيَلنَّ اسِ النَّمُ مَا النَّمَ مَا النَّمَ النَّالَ. تَاسَدِ النَّا عَمران / 110).

- الوحدة والأخوة الإسلامية شرطا ً النصر:

إن تحقيق الأخوق بين المسلمين شرط لتحقيق النصر على أعدائهم: (إِنَّ اللَّهَ يَعْدِبُ لَاَّهَ يَعْدِبُ السَّهُ 4)، فإن السَّهُ اللَّهَ عَنْ يَعْدَانُ مَرْصُوصُ (الصَّفُ 4)، فإن فقد معسكر الإيمان هذه الخصيصة، أو تراجعت وضعفت، حلت بهم الهزيمة: (و َلـَقَدَ مُ سَدَ قَكُمُ اللَّهُ وَعَدْهُ إِذَ تَحُسُّ وَ تَعَدُمُ فَيِ الْمُرْدِ وَعَدْهُ أَ إِذَ تَحُسُّ وَ تَعَدُمُ فَيِ الْأَمْرِ وَعَدْهَ أَ إِذَ الْقَسْرِلُةُ مُ مَنْ يَعْرِيدُ الدَّانُونَ مَنْ يَعْرِيدُ الدَّانُونَ مَنْ يَعْرِيدُ الدَّ نُويَا وَمَنْ عَنْهُمْ لَي يَعْرَيدُ الآخِرَةَ تَكُمُ مَا تَحْرِبُّ وَنَا عَنْهُمْ لَي يَعْرَيدُ الدَّهُ وَلَا قَدْ عَفَا عَنْهُمْ وَاللَّهُ وَالْمُوالِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُوالَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُوالَ وَاللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُؤْمُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَالْمُولَالَ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَ

علينا أن ندرك حقيقة الوحدة الإسلامية ولن ننسى هذه الدعوة القرآنية من أجل حطام زائل، وعلينا أن نعرف أن ّ الوحدة الإسلامية في ظل القرآن أحسن وسيلة لنجاة الأ ُمّة الإسلامية وخلاصها.

المصدر: كتاب رسالة التقريب/ العدد 44